9tem Année No. 721

Lundi — 28 — 4 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٢١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٧ جمادي الآخرة سنة ١٣٦٦ — ٢٨ أبريل سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

روح اليـــابان ...

للأستاذ عباس محمود العقاد

جاءنى الخطاب الآتى من الأستاذ « محمود محمد الحبيب » المعلم بمدرسة المربد بعشار البصرة قال فيه بعد ثناء نشكره عليه :

« ... نقرأ الشيء الكثير من الأدب الإنكليزى ، وأكثر منه من الأدب الفرنسى ، ونطالع الأدب الأمريكى والألمانى واليونانى ؛ ثم جاءت الحرب العالمية الثانية فكشفت لنا القناع عن الأدب الواقعى الروسى خاصة فى الأقاصيص . كذلك لنا نظرات فى الأدب الصينى والهندى طالعناه فى كثير من الكتب المعربة ؛ ولكن شيئاً واحداً هو الذى لم يحظ من أدبائنا بالعناية . ذلكم هو الأدب اليابانى . وهذا ما أردت من سيدى أن يلقى عليه شيئاً من أنواره ليكشف لنا مجاهله ومراميه ... وقد عرفنا بعض فلاسفة الصين ، فمن يقود الحركة الفلسفية فى اليابان ؟ » إلى أسئلة من هذا القبيل تتلخص فى السؤال عن « روح اليابان » كما تتمثل فى عالم التفكير والإبداع الأدبى والفنون .

ومما هو غنى عن الشرح أن أمة كبيرة عريقة التاريخ كالأمة اليابانية لا تخلو من أدب وفن وفلسفة على نمط من الأنماط

ولكن الأستاذ الحبيب على صواب حين يقول إن الآداب اليابانية لم تظفر من الغربيين ولا من العرب بالعناية التى ظفرت بها آداب الصين أو الهند القديمة . ويبدو لنا أن السر فى هذا يرجع إلى المنافسة السياسية أو الحربية بين اليابان والولايات المتحدة وبريطانيا العظمى وفرنسا على الخصوص . فإن الأمريكيين والإنجليز والفرنسيين لم ينظروا إلى الصين والهند نظرتهم إلى منافسين يهددونهم فى ميادين التجارة والاستعمار ، ولكنهم نظروا هذه النظرة إلى اليابانيين ، فكان لهذه المنافسة شأن فى الجفاء الذى قوبلت به آداب اليابان بين الناطقين باللغتين الإنجليزية والفرنسية ومن يعتمدون على هاتين اللغتين فى الاطلاع على الآداب العالمية .

وقد ظفرت الصين والهند بالعناية الكبرى من مترجمى الآداب الشرقية لسبب آخر غير هذه المنافسة الاستعمارية ، وهو أصالة الآداب الصينية والهندية وغلبة الاقتباس على الآداب اليابانية . فإن الهند أولا والصين ثانياً هما مرجع الثقافة الأولى التى عول عليها اليابانيون قبل نهضتهم الأخيرة منذ أواخر القرن الماضى ، فلما نهضوا نهضتهم تلك فى العصر الحديث كانت ثقافتهم نسخة مصححة من الثقافة الأوربية أو الأمريكية ؛ فلم يحفل بها الأوربيون والأمريكيون لأنهم يطلبون الغرائب ولا يحفلون كثيراً بنقل الآثار الفنية التى تشبه ما تعودوه وألفوه .

وقد حال بين الأمة اليابانية وبين تسجيل مأثوراتها الشعرية والنثرية أنها لم تعرف الكتابة قبل القرن الرابع للميلاد ، ولم يكن شعراؤها وأدباؤها من جمهرة الشعب ولا من أوساط الناس فى أكثر الأحوال ، بل كانوا من الأمراء والكهان والأساتذة الذين يقرضون الشعر كما يقرضه المترفون فى أوقات الفراغ .

على أن هذا كله لم يمنع العبقرية اليابانية أن تسلك طريقها إلى

اللغات الأوربية ، فتجلت تلك العبقرية فى نمطين من الشعر تعلو فيهما الصبغة القومية على كل صبغة ، وهما مقطوعات « الهاكو » ومنظومات الوقائع الحماسية التى وضعوها قديما فى أسلوب الروايات التمثيلية .

أما مقطوعات « الهاكو » فهى أشبه الشعر بما طبع عليه اليابانيون من الدقة والأناقة ، وهى مقطوعات لا تتجاوز الواحدة منها بيتين أو شطرين . ومن أمثلتها التى نشرناها فى بعض مقالاتنا بيت يقول فيه الشاعر وقد نظر إلى شجرة : « ها قد سقطت هنالك زهرة كلا إنها فراشة ! » وبيتان يقول فيهما الشاعر فى حقائق الحياة وأوهامها : « ما دمت أعلم أن الوقائع التى نشهدها ليست هى كل اليقين ، فمن أين لى أن أحلام المنام ليست سوى أحلام ؟ » .

وكل هذا الشعر على هذا النحو من الدقة التى تتلألأ فى ألفاظها الوجيزة كما يتلألأ الفص النفيس فى الخاتم الفريد . وأكثر ما ينظمونه فى الوصف والحكمة على هذا المثال .

وآية هذه المحافظة التى تغنى عن إطالة البحث فيما عداها أنهم لا يزالون يعبدون الملوك ، ولا تزال أسرة المالكين المعبودين فيهم هى الأسرة التى ملكتهم وحلت بينهم محل الأرباب منذ عشرات القرون .

أما الفلسفة فهى كما يعلم القراء على اقتران دائم بالعقائد الدينية ، ولا سيما فلسفة البحث فيما وراء الطبيعة .

وقد أخذ اليابانيون عقائدهم من البوذية الصينية ، وأخذوا عن أهل الصين كل تصرف فى هذه العقائد ، سواء منها عقائد العبادات وعقائد السلوك .

ونشأ بينهم قديما حكماء على نهج الحكماء الصينيين ، محور حكمتهم الوصايا السياسية وقواعد العرف المرعى فى المعيشة اليومية . وقل بين حكمائهم من توسع فيما بعد الطبيعة وتابع المسالك البوذيين فى التوجه إلى الحقائق المجردة والإعراض عن الأوهام الدنيوية ؛ لأن اليابانيين دنيويون بالسليقة لا يسيغون فلسفة التجرد وإنكار الحياة .

أما شعر الحماسة فى الروايات التمثيلية أو القصائد المطولة فهو من سليقة اليابان التى استقلوا بها عن المقتبسات الصينية ، لأن أهل الصين لا يقدسون المجد العسكرى كما يقدسه جيرانهم الشرقيون .

وأشهر شعرائهم فيه « شكامتسو » الذى يلقب بشكسبير اليابان . وقد ترجمه إلى الإنجليزية أديب يابانى معاصر هو الأستاذ اساتارو ميامورى Asataro Miamori أستاذ الأدب الإنجليزى فى جامعة توكيو ، وقدم له تقديماً حسناً يغنى بعض الغناء عن المطولات فى التعريف بهذا الفن الخاص من فنون بلاده .

ومهما يقل القائلون عن غلبة الاقتباس على الفنون اليابانية فما لا شك فيه أن هذه الأمة مطبوعة على ذوق الجمال الأنيق والإعجاب بمحاسن الطبيعة . وقد شاءت لهم هذه الطبيعة أن يتفرغوا للأناقة وحدها بين أفانين الحسن واللاحة . فكانت الأناقة أيضاً هى السمة الغالبة على فن العمارة فى جزائرهم البركانية ، لأنهم قد استغنوا عن فخامة البناء بالأكواخ الصغيرة والحدائق النمقة ، فاتفقت لهم أسباب الأناقة فى جميع الفنون .

ولا يخفى أن الأناقة تكون مع الاقتباس كما تكون مع الاختراع فتأنق اليابانيون فيما اقتبسوه كما تأنقوا فيما ابتدعوه . إلا أنهم محافظون تقليديون فى عاداتهم ومشاربهم قبل كل شىء

لا جرم لم تكن لليابانيين إذن فلسفة مستقلة فيما وراء الطبيعة ، ولم ينبغ بينهم الفلاسفة كما نبغ الشعراء الغنائيون والحماسيون ومهندسو البناء ومنسقو الحدائق ومنازه الجبال .

وقد ظلوا كذلك إلى القرن الماضى الذى ترجموا فيه المذاهب الفلسفية عن الغربيين ، فاستبدلوا تقليداً بتقليد ، ولم ينجبوا بعد فيلسوفا يبدع لليابان مذهباً لا يدين فى جوهره ولبابه لأحد من فلاسفة الأوربيين والأمريكيين . وربما كان أروج الفلاسفة بينهم سبنسر ووليام جيمس وكارل ماركس ونيتشه ، أو أقربهم إلى مذهب العمل والكفاح .

فالروح اليابانى كما يتراءى فى ثقافته وفنونه يتلخص فى المحافظة والاقتباس وإثبات السليقة اليابانية بعد ذلك بالأناقة والحركة والنزعة العملية ، أو يتلخص فى كلمة واحدة هى « الدقة » التى تبدو فى الطبيعة والصناعة ، وتبدو فى الأبدان كما تبدو فى الأذواق والأذهان

وليس هذا التعريف على كل حال بالتعريف الذى يحيط بموضوعه ، ولكنه موضوع لا يحاط به فى مقال ، وربما كان بهذا القدر مفيداً على الأسلوب اليابانى الذى أشرنا إليه .

عباس محمود العقاد